صفحة من تاريخ اسر بغداد

بيت عراقي قديم

Famille Nazhmi Zâdeh.

— آل نظمي —

ما كنا نتوقع ان تضبع اخبار هذا المحيط الذي شغل ادارة العالم مدة بحيث لا نعرف من منشأ اسرة وما لحق بيوتاته من عز وضعة او سعادة وشقاء — ولو قليلا — ويقنع بعضهم بصفحات عنهم كامثال الصور المتحركة لنطلع عليها فنتعلل بهذه البقية او نستضيء بهذه الشرارة ...

إنتبهنا فلم نجد مايسد هذا الفراغ إلّاقليلا وحينئذ اضطررنا الى تتبع الاخبار والتوصل الى معرفة الحوادث عن اولائك الرجال ولو بشعلة ضئيلة . وقد مضني ما عليه من بلغ الجهد .

البيوتات البغدادية كثيرة في العلم والادب والتاريخ والادارة والتجارة والنقابة والمشيخة والزهد والتقوى قديما وحديثا وبقي من هذه مابقي على رغم من المصائب الحائقة بهذا القطر من اوبئة وغرق ووقائع وبيلة ومؤلمة من حروب وسياسة... وهكذا الى غيرها .

قد عدد السياهبوشي سنة ١٢٣٩ جملة وافرة من الاسر المعروفة الى الان في قصيدة طويلة هجا بها اغلب هذه البيوتات . وتحامل عليها ، مما كان له اتصال بها ، او لم يخش بطشها ومكانتها... ولا يقال انه حصرها أو استوعب الكلام عليها ، فبين البيوتات المعروفة إذ ذاك ، وله الفضل دون التفات الى تحامله .

عرفت اسرا قديمة في العراق غير ما ذكره السياهبوشي خصوصا في بغداد . وفي هذه المجالة اقدم لقراء « لغة العرب » الغراء بحثا عن بيت عرف بالاداب والتاريخ من مدة اربعة عصور وعرف بهذا المحيط خير تعريف وتقلب في العلوم والسياسة والفتوى والنيابة الى سنة ١٢٧١ من الهجرة واتصل بمصاهرة اكبر الاسر البغدادية المعروفة واقدمها واشرفها. اعني بها «آل المفتي» .

هذه الاسرة عرفت بالتاريخ والادب ثم بالعلوم الشرعية والفتوى فتمسكت بهـذا اللقب الاخير وان كانت تسمى في الاول بآل شمسي البغدادي ثم بآل نظمي البغدادي وبعدها بآل مرتضى وبعد ذلك كله بآل المفتي . واليوم تدعى بآل « محمد سليم جلبي » وهو آخر من اشتهر من هذه الاسرة. وهو والدصديقنا الفاضل طاهر جلبي ابن محمد سليم جلبي .

هذه الاسرة لم تخلق جدتها الايام . فلا يزال ابناؤها نافعي المجتمع . واليوم منها شخصيتان صاحبتا مكانة مهمة وهما : طاهر جلبي محمد سليم . وعبد الله بك ابن عبدالله جلبي « ابن اخي طاهر جلبي » .

فالاول اديب فاضل ، مقل من نظم الشعر ، ولكن روحه تنزع اليه وتميل . يحفظ منتخبه ويختار احسنه وهو في اتقان المقام « الموسيقي » وانواعه معروف وله افضال عظيمة على غالب الاهلين فيكاد لا يرد له قول خصوصا اثنا وقت الجندية وسحب القرعة وفي عضوية البلدية والتقديرات والاعانات . فلم يرهق الاهلين ما لا يطيقون ، رؤوف بهم ، ومحسن كل الاحسان اليهم ، لا ينكر فضله ولا يهمل شأنه .

وابن اخيه من الفضل بمكانة راقية ، اتم دراسته في اميركة واختص بفرع من فروع الزراعة فهو اختصاصي من نحو جديد ، هو ابن خطته هذه . وقد اثر فيه دم آبائه واجداده فمال الى حب العلم والاطلاع . ركن الى هذا النوع من العلوم فبرع فيه ، والامل فيه ان ينبغ كما نبغ اسلافه فيما اشتهروا به .

ارجع الى اصل هذه الاسرة فاقول : اول ما عرفت — نظرا الى ما وصل الينا من سفر الفه احد افرادها . وهو عهدي البغدادي ابن شمسي البغدادي وهذا الكتاب عرف اباه واقاربه ومكانة اسلافه وازال الغشاوة عن ظنون كانت تحوم حول تحقيق امر هو امر اكبر . مؤرخ عراقي-اي « مرتضى افندي آل نظمي المعروف عند الترك بنظمي زاده » فان هذا الكتاب ازال الابهام عن مرتضى افندي بتعريف نظمي افندي واتصاله بهـذا المؤلف فصحح اقوال كليمان هوار الفرنسي واقوال الصديق الفاضل يعقوب افندي نعوم سركيس وغيرهما .

واليك ايها القارئ وصف هذا الكتاب .

كاشن شعرا

نسخة خطية عدد صفحاتها ٢٩٧ مجدولة بمداد احمر وفي كل صفحة منها ١٥ سطرا ، وعناوين تراجمها بحبر احمر ايضا . طول الصفحة ٥ر١٧ سنتيمترا في عرض ٥ر١٣ على ورق خميس . وصفه كاتب جلبي في كشف الظنون بما نصه :

« تذكرة الشعراء تركي لاحمد بن شمسي المعروف بالعهدي البغدادي كتب المعاصرين من علماء الروم منذ قدم سنة ٩٦٠ الى خروجه سنة ٧١ ورتب على ثلاث روضات وسماه كاشن شعرا فصار اسمه تاريخا لتأليفه » اه . واقول ان روضاته اربع لا ثلاث كما ذكر . واوله : « شكر وسپاسي اول خالق منزهه كه الخ » والنسخة الموجودة بيدي مذكور في صدرها : « تذكرة الشعراء لملا عهدي بن شمسي البغدادي » . وفي مقدمتها انه صوفي ملازم لطريقة السالكين . سافر الى بلاد الروم سنة ٩٦ واتصل في طريقه بمختلف الطبقات من الناس واستطلع ما عندهم من علم وادب وفضل . عاشر انواع الناس من ارباب المشارب المتنوعة فلم يترك شيخا إلا تحرى ماديه ، ولا شابا إلا سبر نيانه ولا ارباب المناصب إلا اخذ من معارفهم . ولا اهل تصوف إلا اقتبس منهم . فحصل من المعرفة صنوفا ومن العلوم انواعا فوقف على ما عند اهل الدنيا وما في خزائن اهل الزهد والتقوى من رجال الاخرة .

ولما وصل الى الاستانة رأى فيها ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ثم بين انه لم يتمكن من تدوين كل ما راى ولا عشره بل لا واحدا من الف مما رأى من فضل وادب جم ومعرفة غزيرة .. فكانت هذه — كما قال — عجالة سريعة ونزرا قليلا ينبيء عن معين لا ينضب .

اكتسب ما اكتسبه من مجالسة الشعراء المجيدين والامراء الكرام ومن معاشرة العلماء الابرار ومصاحبة اهل الفصاحة والبلاغة من عناصل البيان ومن الاطلاع على اغاريدهم اللطيفة . كل ذلك بطريق المحادثة او المطارحات الشعرية

١) الظاهر من هذا النقل ان حضرة الكاتب الصديق اعتمد على كشف الظنون المطبوع في الاستانة او في بولاق لان ما اورده يوافق ما جاء في النسختين المذكورتين المطبوعتين اما كشف الظنون المطبوع في ديار اوربة فيقول : « كتب من عاشرهم في الروم منذ قدم سنة ٩٢٠ (١٥٤٤ م) الى خروجه سنة احدى وسبعين (١٥٦٣م) لغة العرب

او المذاكرات العلمية .

وفي كل هذه كان طالبا متتبعا . لازم القوم حتى اتقن لغتهم وتمكن من ان يحذو حذوهم حتى صار كاحدهم بل صار فريدا في الشعر .

وفي سنة ٩٧١ هـ دعاه داعي الوطن الذي حبه من الايمان فقال في التشوق الى بغداد :

دل از طور بتان روم چون عهدی پریشانست

هوای دیدن بغداد وخوبان عجم دارد

يقول انه مغرم بالروم إلّا ان هوى بغداد والتشوق اليها والى الجمال الفارسي ملك زمام لبه فمال به اليه الى ان قال : انني عزمت على العودة فدونت ما خطر لي من خواطر وما عن لي عن السلاطين العظام والعلماء الفخام وارباب الدولة والشعراء الاخيار مما جرى في مجالسهم وما عرفته عنهم وما اقتبسته من صحبتهم فجعلته في اربع روضات اكتبها حسب الطاقة واجمعها من اوراق متفرقة وبعد ان اتممتها سميتها (تذكرة ارباب الصفا) او ما يقال له بـ (كلشن شعرا) ومعناها (روضة الشعراء) .

جعل الروضة الاولى في بيان صفات السلطان العادل وابنائه ذوي الخصائل الجميلة . والروضة الثانية في علماء زمانه العظام والموالي الكرام والمدرسين النبلاء والروضه الثالثة في الامراء والدفتريين ومنتخبات اشعارهم والروضة الرابعة في مشاهير الشعراء ، مرتبين على ترتيب حروف الهجاء مع ذكر نتف من اشعارهم ...

وفي هذه الروضات اورد مقدارا وافرا من شعره ، سواء في المناجاة ام في نعت الرسول (ص) ام ذكر السلطان سليمان واولاده من سليم وغيره ثم انه قدم كتابه الى السلطان فقال :

جمع ايدوب ارباب نظمي ايتدم اول سلطانه عرض

عادت اولمشدر صونر بنده شه دورانه عرض

خاكپايندن بتر مقصودی ارباب دلك

نوله صونسه خالـــايه عهـــدى فرزانه عرض

ثم مضى الى ذكر محامد السلطان ومناقب اولاده وهكذا راعى ترتيب روضاته

ان المؤلف لم يكتف بذكر رجال الروم وعلمائها بل تعرض ايضا للبغداديين الذين توطنوا تلك الانحاء وسكنوا الاستانة او ما جاورها ممن نبغ في أدب او علم وزيادة على ذلك ذكر ترجمة والده شمسي البغدادي وبعض من لهم به لحمة نسب وترجم بغداديين كثيرين ممن لا يزالون في خفاء عنا او لا نعلم شيئا كثيرا عنهم .

وسيأتي الكلام على بعض التراجم ممن لهم علاقة بالمؤلف استقصاءا لاحوال هذه الاسرة بقدر الامكان وقد ذكر ترجمة نظمي افندي بصورة مفصلة ليس اوسع منها في كتاب فيذكر ولادته ووفاته وما قيل فيه الخ .

وفي هذا الكتاب مغمز واحد هو انه ترجم نظمي افندي في حين انه ولد في السنة التي توفي فيها عهدي والظاهر ان المترجم له هو مرتضى افندي او اخوه فانه ترجم اباه واضاف ترجمته الى التراجم المذكورة في الكتاب اما بصورة حاشية واما بصورة تعليق ثم ادمجت بالمتن ومما يدل على ذلك ان ختم مرتضى افندي مختوم في آخر هذا الكتاب . وهذا الختم ـ وان كان لا يقرأ لاول وهلة وبصورة واضحة ـ ظاهر للمتأمل .

وقد قال صاحب قاموس الاعلام عن عهدي بما تعريبه . « ان عهدي لقب ثلاثة من شعراء القرن العاشر احدهم احمد عهدي وهو بغدادي . وجد في الاستانة كثيرا وله تذكرة الشعراء ترجم فيها شعراء عصره وله ايضا البيت التالي :

عهدي ديار روميه كلوب ايدر لى نظر كورنمز اولدى كوزمه ملك عجم بنم

انتهى وفي سجل عثماني او تذكرة مشاهير عثمانية : « ان عهدي جلبي هو نجل شمس الدين البغدادي . شاعر توفي سنة ١٠٠٢ من الهجرة . » اهـ

ويجمل القول : لا يصح ان يقال عنه انه شاعر ويكتفى بذلك بل هو مؤرخ ايضا عرف اسرته وجمعا من العراقيين اما اطلاعه على التركية . وكون لسانه ادبي الاسلوب فمما لا نزاع فيه . وكذلك قل عن تضلعه من الفارسية لكنه لم يتعرض لاطلاعه على العربية ولا لادبه فيها والسبب واضح هو ان الاديب لا يكون اديبا

يومئذ ولا يعترف بادابه ما لم يتقن اللغة العدنانية خصوصا انه عاش في محيط عربي وكتابه هذا لا يستغنى عنه وفي المقال التالي سوف اتكلم عن شمسي البغدادي ومكانته الادبية والعلمية ثم عمن يليه من رجال هذه الاسرة أما الان فاكتفي بهذا القدر والله ولي التوفيق .

بغداد المحامي عباس العزاوي

تاريخ اليهود

L'histoire des Juifs

في بلاد العرب

في الجاهلية وصدر الاسلام

تاليف الدكتور « اسرائيل ولفنسون ـ ابو ذؤيب » استاذ اللغات السامية بدار العلوم

قوامه ١٩٠ صفحة عدا الخرائط وخلا المقدمة للدكتور طه حسين وعدا التصدير للمؤلف نفسه

هو تاريخ غزير الفوائد واضح الحقائق بين الاسانيد ينم عن تضلع مؤلفه المتبقر من البحث في التاريخ عن حقائقه ودقائقه على انه لا يقرأ هذا التاريخ قارئ إلا يتعجب من بعض عبائره السليمة الظاهر المريضة الباطن ولا غرابة في ذلك فان الانسان لما يبلغ درجات الكمال ولا خرج من دركات العصبية الدينية وهي ملجأ كثير من الاواخ . ذلك فضلا عن ان الكتاب لم يخل من التعابير المغلوط فيها وها نحن اولاء نبسط للقارئ بعض ما يستوجب الاصلاح والمناظرة :

١ ــ قال في ص ٧ « وانما الذي يمكننا ان نقوله . . . هو ان القدماء قد اعتقدوا انه قد وجدت في جهات يثرب وخيبر بطون إسرائيلية قبل وصول جموع اليهود الى الاصقاع العربية في الدور الثاني ويؤيد هذه النظرية ما نجده في كتاب العهد القديم من النص على وجود علاقة متينة بين بلاد فلسطين وبلاد الجزيرة العربية » قلنا : ولم ينشب ان قطع هذه العلاقة في ص ١١ بقوله « ان سكوت المراجع الاسرائيلية عن سرد حوادث اليهود في الجزيرة العربية يدل دلالة قاطعة على ان اليهود في بلاد العرب كانوا منقطعين تمام الانقطاع عن بقية ابناء جنسهم في جهات